التربية في العصور الوسطى

1- التربية العربية والإسلامية:

قال الكواكبي واصفا العرب بأنهم أقدم الأمم إتباعا لأصول تساوي الحقوق وتقارب المراتب في الهيئة الاجتماعية (...) وأعرق الأمم في أصول الشورى في الشؤون العمومية وأهدى الأمم لأصول المعيشة الاشتراكية ... وأحرص الأمم على احترام العهود عزة، واحترام الذمة الإنسانية، واحترام الجوار شهامة، وبذل المعروف مروءة... وهم أنسب الأقوام لأن يكونوا مرجعا في الدين وقدوة للمسلمين (...) فهم الوسيلة الوحيدة لجمع الكلمة الدينية بل الكلمة الشرقية. (عمارة محمد ، 1988: ص 43)

1-1- التربية عند العرب قبل الإسلام:

عاش العرب في شبه الجزيرة العربية بين إطناب البوادي يموجون الأراضي والصحاري من أجل البحث عن الكلأ والماء، في نظام قبلي يأكل فيهم القوي الضعيف كما قال رسول محمد صلى الله عليه وسلم إلى نجاشي الحبشة، تفتك بهم الحروب لأدنى الأسباب كحرب البسوس بين قبليتي تغلب وبكر التي استمرت حوالي أربعين سنة بسبب ناقة، وحرب داحس والغبراء بين قبيلتي عبس وذبيان بسبب اعتراض فرس قيس بن زهير، كان المجتمع العربي آنذاك تتحكم فيه قيم الجاهلية، فلقد شاع شرب الخمر بين عامة الناس حيث قال عمر بن كلثوم متباهيا بالخمر مفتخرا بها:

ألا هبي بصحنك فاصحبينا ولا تبقى خمور الأندرينا

مشعشعة كأن الحصى فيها إذا ما لماء خالطها أليمينا

صورت الكأس عنا أم عمرو وكان الكأس مزاجها أليمينا

وشاعت فاحشة الزنا حتى نهى الإسلام عنها، كما غابت حرمة المرأة واستغربها واعتبرت مصدر فتنة فكان أكابر القوم يؤيدون البنات ومن فقرائهم من يقتل أبناءه خشية الفاقة والفقر حتى نهى الإسلام عن هذا الفعل كما لم يجتمع العرب في الجاهلية على عبادة اله واحد، نجد إلى جانب هذه القيم التي شاعت بينهم هناك قيم مثالية قلما تتواجد في أمم أخرى كإكرام الضيف ونصرة المظلوم.

1-2- التربية في الجاهلية :

كان العرب في الجاهلية ينقسمون إلى قسمين كبيرين هما: البدو والحضر، وكانت العائلة هي أهم وسائط التربية عند العرب وخاصة البدو منهم، وكان أهم ما يتعلمه البدو هو الصيد والرماية والقنص وإعداد آلات الحرب، بالإضافة إلى تعلم القتال لردع الأعداء ومنازلة الوحوش الصحراوية، وكانت الوسيلة التربوية المتبعة في ذلك كله هي المحاكاة والتقليد أو طريقة النصح والإرشاد من كبار السن وشيوخ العشائر .وكانت التربية مقتصرة على تعليم الأطفال القراءة والكتابة وقليل من الحساب.(الطروانة أخليف يوسف، 2004: ص51)

●أما الحضر فقد كانت تربيتهم أكثر رقيا وتقدما من البدو وانقسمت إلى قسمين: ابتدائية وعالية، وكانت لهم طرق في التدريس لا تعتمد على الحفظ والتقليد مثل البدو، وكان التعليم عندهم انفراديا، إذ يخصص كل معلم جزء من وقته لكل تلميذ. وكان لأهل الحضر مدارس ومعاهد للتربية والتعليم وأماكن لطلب العلم، (همشري عمر أحمد، 2007: ص55)

كانت الأسرة أهم وسائل التربية عند العرب البدو الجاهلين،وقد تشاركها في ذلك العشيرة التي تجمع أفرادها أواصر النسب، وروابط القرابة التي تعد صورة مكبرة للأسرة إذ كان الطفل يأخذ من أسرته وعشيرته طرقها الخاصة في كسب القوت وتحصيل اللباس واتخاذ المسكن، ويتعرف منها على أساليب الدفاع وطرق الإغارة على الأعداء، وفنون الأعمال والصناعات ،كالصيد والرمي والقص وإعداد آلات الحرب وعمل الآنية ودبغ الجلود وغزل الصوف وحياكة الملابس وتربية الماشية.

أما الحضر فقد كانت التربية عندهم أرقى وفي وسعنا أن نقول أنها كانت تنقسم إلى قسمين ابتدائية وعالية (...) كان الأطفال في القسم الابتدائي يدرسون الهجاء والمطالعة والحساب وقواعد اللغة، كما كان الطلاب في القسم العالي يدرسون الهندسة العملية وعلم الفلك ، والطب وفن العمارة والنقش والآداب والتاريخ. (عبد الله عبدالدايم، 1967: ص136)

1-3 – التربية العربية عند مجيء الإسلام: (العهد الأول)

تمتد هذه الفترة حوالي ستة قرون بدءا من القرن السابع الميلادي، وعندما انتشر الإسلام في شبه الجزيرة العربية، ثم انتقل سريعا إلى ربوع إمبراطوريتي الفرس والروم ، حتى القرن الثالث عشر عندما قضي على الخلافة العباسية في بغداد على يد المغول)سقوط بغداد على يد هولاكو عام 1258م (...) وتقسم هذه الفترة في الواقع إلى أطوار يتميز كل واحد منها بخصائص تأخذ التربية خلالها أشكالا متباينة بعض الشيء.

الطور الأول : طور نمو الإسلام في عهد الرسول

الطور الثاني :طور الفتوحات الإسلامية التي بدأت في عهد أبي بكر الصديق أول الخلفاء الراشدين وقاربت نهايتها في عهد الأمويين(661 م – 750م)

الطور الثالث :طور تكوين الحضارة العربية والامتزاج بين الشعوب والحضارات ويبدأ هذا الطور مع بداية الطور العباسي ويمتد حتى ظهور الأتراك السلاجقة في القرن الحادي عشر ميلادي .

الطور الرابع : ويبدأ مع ظهور الأتراك السلاجقة وينتهي بظهور قبائل المغول المتبربرة في أواسط آسيا في القرن الثالث عشر الميلادي (عبد الله عبدالدايم، 1967: ص 141)

أهداف التربية العربية الإسلامية:

لم يكن هدف المسلمين من التربية دنيويا محضا كما كان اليونان والرومان مثلا، ولم يكن دينيا كما كان عند الإسرائيليين في الصدر

الأول، وإنما كان عرضهم دينيا ودنيويا معا ، وكان يرمون إلى إعداد المرء لعملي الدنيا والآخرة معا. فالعرب عنوا بتدريس علوم الدين والشريعة كما عنوا بدراسة علوم اللسان والتاريخ والجغرافيا والكيمياء والفيزياء والطب والهندسة والفلك وغيرها، واستطاعوا بفضل هذه التربية الجامعة أن يشيدوا حضارة رائعة، قدمت للعالم زاد ا ثقافيا علميا كان هو الأساس في تطور الحضارة الحديثة كلها.

1-4- التربية بعد مجيء الإسلام:

إن التربية السلامية وما عرفته من انتشار عبر أصقاع المعمورة لم يكن وليد الصدفة والارتجال وإنما تجدرت أواصرها عبر مؤسسات ومنشآت اتبعت أساليب ومناهج ناجحة جعلتها تحافظ على استمراريتها وديمومتها. وهذا المنهج والأسلوب الإسلامي الفريد هو منهج تربية محمد صلى الله عليه وسلم ثم تداولته باقي المؤسسات عبر التاريخ حيث نجد النبي قد علمه الله على يد جبريل عليه السلام، وتستمد التربية الإسلامية خصائصها من طبيعة الدين الإسلامي الذي يمتاز بعدة خصائص منها الشمولية والواقعية، والوسطية والمرونة والخلود، وتتميز التربية الإسلامية بأنها تتمحور حول إلهية المصدر ، وهذا يستلزم ثبات أصولها وأنها من عند الله فهي سالمة قطعا من التناقض والنقص ولقد أدرك هذه الحقيقة أعداد الإسلام منذ العهد المكي (...) يقول الوليد ابن المغيرة عن القرآن: والله إن لقوله الذي يقول لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وأنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله وأنه ليعلو وما يعلى عليه، وانه ليحطم ما تحته. (الكندري لطيفة، ملك بدر ، 120)

ومن خلال تتبع التربية الإسلامية يدرك الباحث المنصف أنا رجلا أميا مها كأن شأنه لا يمكنه أبدا أن يقدم نظاما كاملا للحياة، بل حتى المجامع العلمية الضخمة لم تقدم منهجا شاملا للحياة، يربي الرجل والمرأة والغني الفقير والكبير الصغير، في أمورهم الصغيرة والكبيرة على مر الأزمان ولكل عصر ومصر.

أ- أهداف التربية الإسلامية:

تسعى التربية الإسلامية لإيجاد الإنسان الإيجابي والذي يكون عنصرا صالحا مصلحا فاعلا أينما كان، وفي أي بلد سكن وأن يحسن إلى الناس جميعا.

2-الاعتناء بالأسرة كونها أساس التربية الناجحة وتزويدها بما يتطلب من باب الاعتقاد والعبادات والمعاملات من خلال منهاج تربوي واضح المعالم.

3-تحث التربية الإسلامية الإنسان المسلم على أن يعبد ربه ويطيعه ويساهم في عمليه التفاهم بين القبائل والأجناس.

ب - مؤسسات التربية الإسلامية

أ. غار حراء:

إذا سلمنا بأن تعريف المدرسة هي المكان الذي يتلقى به الطالب مختلف العلوم من المعلم فإن غار حراء يعد المكان الأول الذي

تلقى فيه الرسول صلى الله عليه وسلم معلم المسلمين الأول العلم، حيث جاء جبريل عليه السلام مرسلا من رب العالمين فعلمه سورة العلق ، اقرأ قال تعالى: (اْ قرأْ بِاْسمَ رِبك الَذيَ خلَق) سورة العلق ، آية1

ب. بيت الرسول الله صلى الله عليه وسلم:

وهو المركز التربوي الثاني مركز الإشعاع والمعرفة، حيث كان ينزل فيه القرآن على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وفيه خديجة زوجته المرأة الصديقة التي كانت على قرب ودراية كبيرة، بكل ما ينزل على النبي بالإضافة إلى أبن أخيه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

ت. دار الأرقم ابن الأرقم :هذه هي المؤسسة التي كانت مكانا لاجتماع من آمن في بداية الدعوة، تعقد فيها ندوات الخير ويجتمع المسلمون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويتصل بهم من أراد أن يسمع القرآن منهم، وهي دار كانت بجوار الكعبة على مقربة من جبل الصفا، أهلها من سلالة عبد الدار بن قصي، الذين يحملون مفتاح الحرم المكي الشريف، لا تبتعد عنه سوى أمتار، وقد أتاحت لهم هذه الدار التعبد فيها، كما بنيت في هذه المؤسسة التربوية اللبنات الأولى للبناء الإسلامي بشكل عام.

بالإضافة إلى المدرسة المحمدية في بيت النبوة وبيوت الخلفاء الراشدين من بعده والصحابة والتابعين، وإن لم تكن واضحة بما يشبه المدارس في العصور التي يلحق ذكرها نجد المؤرخين قد اعتبروا عام 459هـ حدا فاصلا فيما يختص بأمكنة التعليم عند المسلمين، ففي هذا العام افتتحت في بغداد أول مدرسة من مجموع المدارس الكثيرة المنظمة التي أنشأها الوزير السلجوقي الشهير- نظام الملك- وقد انتشرت هذه المدارس في العالم الإسلامي، حتى شملت البلدان والقرى الصغيرة، بالإضافة إلى كثير من المدارس الكبرى في عواصم والإقليم. (عبد الله عبد الدايم، 1979: 145)

تعتبر حلقات التعليم في بداية العهد الإسلامي الوسيلة لتلقي التربية والتعليم، وإن اختلفت أماكن تداولها إلى أن ظهرت مؤسسات أخرى يتصدرها:

ث. الكتاب : وإن عرف وجوده قبل ظهور الإسلام فالمسلمين عرفوا نوعين من الكتاب:

-كتاب خاص بتعليم القراءة والكتابة، وكان يقوم غالبا في منازل المعلمين، وكتاب يهتم بالتعليم القرآني ومبادئ الدين الإسلامي وكان مكانه المسجد في الغالب (...) ظهر على يد الحجاج بن يوسف الثقفي (...) وقد ظهر في هذه الكتاتيب بعض المعلمين الموهوبين الذين لمعوا في المجتمع العربي الإسلامي من أشهرهم الضحاك بن مزاحم والكميث بن زيد وعبد الحميد الكاتب.

ج. القصور : نوع من التعليم الابتدائي في قصور الخلفاء والعظماء كي يجد هؤلاء ما يؤهلهم لتحمل الأعباء التي سينهضون بها (...) والمنهاج هنا يضعه الأب أو يشارك في وضعه والمعلم هنا لا يسمى معلم صبيان بل يسمى (مؤدبا) وقد خطى الفاطميون في هذا المجال خطوات واسعة فأنشؤا في قصورهم مدارس خاصة يلتحق بها أولاد علية القوم وإشرافهم.

ح. د - حوانيت الوراقين :ظهرت هذه الدكاكين منذ مطلع الدولة العباسية، وانتشرت سريعا في العواصم والبلدان المختلفة وحفلت كل مدينة بعدد وافر منها، ولم يكن بائعو الكتب مجرد تجار ينشدون الربح وإنما كانوا في معظم الأحيان أدباء ذوي ثقافة يسعون للذة العقلية من وراء هذه الحرفة (...) ولم تكن مهنة الوراقة في عهد الدولة العباسية تقف عند حد الصفقات التجارية وبيع الكتب، وإنما كانت تتعدى ذلك إلى مهام ثقافية بالغة الأهمية(عبد الله عبد الدايم، 1979: 148)

خ. منازل العلماء :جرى التعليم الإسلامي بالمنزل في عهد الإسلام المبكر وقبل نشأة المساجد يوم أتخذ الرسول (ص) دار مبادئ الدين الجديد (...) ومن منازل العلم أيضا دار الإمام الغزالي التي كان يستقبل فيها تلاميذه بعد أن اعتزل العمل بنظامية نيسابور.

د. الصالونات الأدبية :يرتبط تاريخ الصالونات الأدبية بتاريخ القصور وبخاصة قصور الخلفاء (...) على أن الصالونات الأدبية بمعناها الصحيح لم تبدأ إلا في العصر العباسي، فأصبحت هذه الصالونات تعقد في أوقات منظمة وشملت مع قصور الخلفاء قصور الأمراء.

ذ. المسجد :يرتبط تاريخ التربية الإسلامية بالمسجد ارتباطا وثيقا ولقد قامت حلقات الدراسة في المسجد منذ نشأ، واستمرت كذلك على مر السنين والقرون ولعل السبب في جعل المسجد مركزا ثقافيا هو أن الدراسات أيام الإسلام الأولى كانت دراسات دينية تشرح تعاليم الدين الجديد، ثم توسع المسلمون في عصورهم التالية في فهم مهمة المسجد، فاتخذوه مكانا للعبادة ومعهدا للتعليم ودارا للقضاء وكان أول مسجد أنشئ في الإسلام مسجد قباء.

ر. المكتبات :كانت المكتبات وسيلة القدماء في نشر العلم ولعل أقدم الخزائن العربية هي خزانة الأموي الحكيم خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، وقد ظلت محفوظة في البلاط الأموي حتى ولي الخلافة (...) ومن ذكر عنه الاعتناء بجمع الكتب من خلفاء بني أمية الوليد بن عبد الملك فقد روي انه جمع خزانة وجعل عليها خازنا أسمه سعد (...) ويمكن تقسيم المكتبات التي ظهرت في العالم العربي الإسلامي إلى ثلاثة أقسام:

1.مكتبات عامة :وقد أنشئت بالمساجد لتكون في متناول الدراسي، ومن أشهر هذه المكتبات بين الحكمة والحيدرية، ومكتبة أبن سوار.

2.المكتبات بين العامة والخاصة :وهي مكتبات أنشأها الخلفاء والملوك تقربا للعلم أشهرها مكتبة الناصر لدين الله ومكتبة المستعصم بالله.

3.المكتبات الخاصة :وقد أنشاها العلماء والأدباء لاستعمالهم الخاص ، أشهرها مكتبة الفتح بن خاقان، ومكتبة حنين بن إسحاق.

ز. الخوانق والربط والزوايا البيمارستانات: الخانقاه هي كلمة فارسية معناها البيت، كانت تبنى غالبا على شكل مساجد للصلاة وبها غرف عديدة للفقراء الصوفية والرباط اسم من ربط مرابطة إذا لازم ثغر. العدو كما تعد مأوى يلجأ إليه العلماء والرحالون وطلاب العلم الذين ينتقلون في أرجاء العالم الإسلامي، أما الزاوية والزوايا فهي كالرباط والخانقاه إلا أنها اصغر في الغالب وهي أكثر ما تكون في الصحاري والأمكنة الخالية من السكان أما البيمارستانات فتعنى بكلمة فارسية تعني، مكان المرض ويدرس فيها الطب.

ج- مناهج التربية الإسلامية:

تنوعت المناهج في المرحلة الابتدائية واختلفت باختلاف الدول الإسلامية فهي لم تقتصر على العلوم والمهارات الجسمية، بل ركزت أيضا على التربية الخلقية واكتساب العادات الحميدة، وتعددت المناهج في المرحلتين الثانوية والعالية فلم يقيد الطالب بموضوعات معينة ويمكن تقسيم المناهج بشكل عام إلى قسمين رئيسين:

-المناهج الدينية الأدبية، سايرت نمو الفكر الإسلامي وتطوره واطلاعه على الفكر الفارسي واليوناني والهندي يصنفها الخوارزمي

إلى علوم طبيعة بفروعها المختلفة والعلوم الرياضية بفروعها والمنطق والفلسفة.

- أما الأسس التي بنيت عليها المناهج الإسلامية فقد اعتمدت على إعطاء أهمية لقيمة المادة من الوجهة الدينية وقيمتها من حيث الأثر التدريبي والقيمة التثقيفية والنفعية والمهنية،وأخيرا قيمتها كأداة لدراسة علوم أعظم شأنا.

د- خصائص التربية الإسلامية:

تستمد التربية الإسلامية روحها، وفلسفتها وطريقتها في تكوين الفرد المسلم من فلسفة الإسلام ونظرته إلى الطبيعة والكون، اعتمادا على القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والإسلام في جوهره وروحه يتميز بشكل خاص بالتربية تربية شاملة كاملة تتناغم أهدافها ووسائلها وطرائقها فهي تربية مميزة بحسن خصائصها عن أنواع التربية الأخرى قديمها وحديثها، وضمن هذه الفلسفة التربوية الإسلامية نجد المسلم الصالح تتوازن في تكوينه النفسي الروحي والأخلاقي، فالجوانب المادية من صحة بدنية وقدرة على العمل، وسعي في كسب للرزق الحلال، تتوازن وتتوافق مع الجوانب الروحية من عبادة، وخلق حسن دون أن يطغى الجانب المادي على الجانب الروحي التعبدي. وقد جمعت التربية الإسلامية منذ الوهلة الأولى وبكل تناسق وانسجام من تأديب النفس وتصفية الروح، وتثقيف العقل وتقوية الجسم والعناية بكل ما يجعل حياة الإنسان على وجه الأرض سعيدة طيبة.

حركة الفكر التربوي الإسلامي:

الإسلام دين رباني جاء ليغير مفهوم الحياة في واقع العرب ، حيث وحدهم بعد فرقه ، وهداهم بعد ضلال ، وجعل لهم شرعة ومنهاجاً بعد فوضى ، ووضع بين أيديهم بعدي الدنيا والآخرة ، وأورثهم ثقافة الأمم والشعوب الغابرة ، ومعالم الحياة القادمة،وبصرهم بواقعهم ومآلهم (شفيق ، 1973: 5،6).

أدخل الإسلام تطورات ومفاهيم أساسيه في تاريخ العرب الاجتماعية والفكرية والسياسية ، ولم يقتصر الإسلام على عرض الأفكار وشرحها، بل عمل على نشرها وتطبيقها وحض على الإيمان بها و العمل من أجلها فكانت التضحية في سبيل الله تعالى حلوة المذاق، وميز الإسلام العرب بأن جعلهم الصنف الأساسي المكون للمجتمع المسلم ، وهم الذين تقوم على عاتقهم مسؤولية الدعوة ، فنجاح أي دعوة يعتمد على مدى استجابة الناس لها ، وهي بدورها تتوقف على إدراك الناس لسلامتها وأثارها في تيسير حياة أفضل كما تتوقف على استقطاب العاملين من أجلها والجماهير من حولها (العلي ، 1986 :33).

ولقد مرت حركة الفكر التربوي الإسلامي بعدة مراحل، كان منها تصنيف ماجد عرسان الكيلاني، حيث ربط مراحل تطور الفكر التربوي الإسلامي بالعصور الإسلامية على النحو التالي :

المرحلة الأولى :

وتمتد هذه المرحلة من بدء الدعوة إلى نهاية عصر الصحابة ما بين (90 - 100 هـ) (الشيرازي، 1970 : 52). وتميزت هذه المرحلة بالهيمنة شبه المطلقة للفكر الديني، وسيادة التقليد امتداداً لعصر الرسول ﷺ دون تجديد ، وتجلى هذا فيما فعله الخلفاء الراشدون والصحابة وخلفاء بنى أميه ، لتعزيز مكانة القرآن والسنة كأهم مصادر الفكر والتشريع حماية لهما من تأثيرات الفكر الدخيل على ينابيع الفكر الإسلامي الصافي (الكيلاني ، 1985 : 98).

وقد تميزت هذه المرحلة بالتالي :

1- جمع القرآن ونسخه ونشره في الأقاليم والأمصار .

2- التدرج في التعليم بدايةً بالقرآن ثم السنة ثم علوم العربية .

3- الحث على طلب العلم ، وإرسال الدعاة في الأقاليم المفتوحة .

4- وجود علماء ومربين أكفاء في كل قطر إسلامي مثل: " الإمام أبو حنيفة النعمان والإمام مالك بن أنس إضافة إلى كبار الصحابة مثل ابن عباس وابن عمر... ".

5- جاء الفكر التربوي متطابقاً مع القرآن والسنة .

6- جاء التطور في المنهاج والأساليب ومراحل التربية موافقاً لتطور المجتمع ، و ملبياً لحاجاته و متطلباته (الكيلاني ، 1985 : 38).

المرحلة الثانية :

وامتدت من نهاية عصر الصحابة إلى قيام المدارس كانت الثقافة العربية في المرحلة الأولى وبداية الثانية يتواشج في نسيجها ثلاثةَ عناصر رئيسةَ، هي : الإسلام ، واللغة العربية ، وتراث الأمم والشعوب ، ولقد ترك لهذه المرحلة المسئولية الكبرى في تحقيق التلاحم التام بين الفكر العربي الإسلامي من جهة، و الفكرالهيليني ، والشرقي القديم من جهة أخرى تمهيداً لبزوغ الثقافة العالمية في ظل حضارة الإسلام الخالدة (رضا ، 1982 : 96) .

و ذلك بفضل جهود بذلت في ظل الخلافة العباسية مثل :

أ - تشجيع الرشيد على الترجمة وعقد المناظرات والمحاورات وكان يحضرها بنفسه .

ب - أنشأ المأمون دار الحكمة وفتح باب الترجمة، واستقطب العلماء في كل التخصصات ومن كل البلدان فكانت معهداً للعلم والترجمة ومرصداً فلكياً ومكتبة واسعة (رضا ، 1982 : 97) .

ج -تبع ذلك مرحلة الإنتاج والابتكار حيث هضم المسلمون ثقافة الغير، ثم صاغوها بما يناسب فكرهم وفلسفتهم التربوية، فأخذوا منها وتركوا وأثروا فيها وتأثروا بها ، وتميزت هذه المرحلة بما يلي :-

1- تأييد الحكام لبعض الاتجاهات الفكرية، دون بعض مثلما فعل المأمون مع المعتزلة . 2 - رعاية الحكام عموماً للأعمال الفكرية مثل بناء دورٍ للعلم والترجمة وإنشاءٍ المكتبات . 3- كانت الترجمة مصبوغة بفكر أهلها ولم تتسم بالموضوعية و الدقة في بدايتها ، مما أدى إلى نزوع علماء المسلمين إلى التحقيق والتدقيق في صحة العلوم .

4 - ظهر طائفة من العلماء والمفكرين على رأس هذه المدارس اشتغلوا بالتربية والتعليم مثل الإمام الشافعي والإمام أحمد بن حنبل وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير .

5 - اتسم أيضاً بالمرونة في استيعابه لفكر وثقافة الداخلين في الإسلام على المستوى الفردي والجماعي (الكيلاني ، 1985 : 90)

المرحلة الثالثة :

وامتدت من قيام المدارس في زمن السلاجقة حتى سقوط الدولة العثمانية ، وذلك عندما ، شرع السلاجقة في القرن الخامس الهجري ببناء المدارس مثل النظاميات التسع وهي أشبه بالجامعات في الوقت الحاضر (قمبر ، 1985 : مج 1 ، 17) .

والمدارس النظامية امتداد للمدارس السريانية المنتشرة في البلاد الإسلامية ، حيث حافظ عليها الأمويون فكانت بداية التداخل الفكري والثقافي مع الشرق والغرب (قمبر ، 1985 : مج 1 ، 29).

وأشهر العلماء في المدارس النظامية هم الإمام الغزالي ، والخطيب البغدادي والحسن البصري ؛حيث عملوا جميعاً في جو من الصراعات الفكرية فتفاعلوا معها بثقافة واسعة ومنهجيه راقية ، وأحاطوا بمقتضيات التطور في صورة تتناسق مع الأصول الكامنة في القرآن والسنة، وتميزت هذه المرحلة بما يلي :

1- ولاية الخلافة العباسية للأشاعرة ، ورعايتهم ودعمهم بغية تحجيم الإسماعيلية ووقف المد الشيعي الفاطمي ، رغم ركود الفكر السني وشيوع ظاهرة التقليد (الكيلاني ، 1985 : 138) .

2- سيطرة الدولة على التعليم شكل ضربه للفكر الحر حيث كانت مادته متمثلة في حلقات الدرس في المساجد والأماكن العامة .

3- ظهور المدارس تحت إشراف الدولة ورعايتها عمل على تقييد المعلم والتزامه بطابع الدولة السياسي .

4- اشتراك العلماء بسلك السلطة في خدمة السلطان .

5- أصبحت الوظائف التعليمية وظائف مذهبية (قمبر ، 1985 : مج 1 ، 312 - 315) .

6- الركود العلمي وشيوع ظاهرة التقليد وضيق المنهاج واقتصاره على العلوم النقلية في صورة متون وشروح ومختصرات ومحاربة العلوم العقلية .

واستمر الأمر على ذلك ولم يعد الانفتاح على فكر الآخرين غاية وهدفاً وذلك في ظل قدرة القيادات المستفيدة وتعزيز التعصب والتقليد المذهبي والقيود المفروضة من السلطة وأصحاب الوقف ، والخلافات الدائرة بين أصحاب الاتجاهات الفكرية (الكيلاني ، 1986 : 46،47) .

ومن أبرز قيادات هذه الفترة ابن جماعه والذهبي وابن رجب ولم تعدم هذه الحقبة بروز نجمين أحدهما في الشام، وهو ابن تيميه والآخر في المغرب ، وهو ابن خلدون؛ حيث عملا على بلورة ونهضة الفكر الإسلامي التربوي؛ من خلال رؤية واضحة لإعداد الفرد المسلم وبناء المجتمع المسلم وفق منهاج رباني أصيل على ضوء ثقافة العصر، وامتداداً لفكر العلماء المسلمين(النعيمي، 1984: 32) وبقى الأمر على هذه الحالة إلى أن جاءت الدولة العثمانية ، فجمعت شتات المسلمين ووحدت كلمتهم ، تحت راية واحدة ، وفتحت كثيراً من الأقاليم التي لم يدخلها الإسلام من قبل ، إضافة إلى توسع نفوذها في الشرق الإسلامي وروسيا شرقاً (صبحه ، 1990 : 131) .

إن التوسع في تطور حركة الفكر التربوي في ظل الخلافة العثمانية ؛ سببه الرعاية والاهتمام بالتعليم والتعلم ، واستقطاب العلماء ، وبناء المدارس وتنافس السلاطين في ذلك ؛ مما أثمر في وجود فئة من العلماء مثلوا الفكر التربوي الإسلامي في فتره

اتهمت بالركود والضعف وانحدار الفكر. ومن أشهر هؤلاء العلماء الإمام السخاوي ، والسيوطي ، وطاش كبري زاده، والشوكاني، والألوسي ، ... وغيرهم كثير ترجم لهم المؤلف في كتاب الشقائق النعمانية . وقد بهروا معاصريهم ، ونبغوا كأساتذة أكفاء وقضاه لامعين ومؤلفين أفذاذ، مع أن العصور المتأخرة لم تشهد استمرارية في النمو العقلي وترقية الفكر من خلال التعليم في المدارس؛ حيث صيغت المناهج بشكل تعليقات ، وتقريرات وحوا شٍ بدلاً من الكتب الجديدة التي تمس واقع وحياة الناس وتفي بمتطلباتهم .

ورغم ذلك فقد عبرت المرحلة السابقة عن حيوية فكريه ونضوج في آراء علماء ذلك العصر ،كما عبر ت عن روح الحرية في التعبير ومسار التطور في التفكير ، حيث أخذ العلماء المسلمون ممن سبقوهم ورسموا معالم منهاجهم التربوي بما يناسب حياتهم الجديدة (قمبر،1985 : مج1، 61) .

وتميزت هذه المرحلة بما يلي :-

1-اتساع دور المدرسين ليشمل تثقيف الناس عامةً بدل الاقتصار على قطاع المتعلمين .

2-تنويع المنهاج فلم يعد يقتصر على العلوم الأدبية والدينية ، بل اتسع ليشمل العلوم العقلية .

3-ظهر في كل من هذه العلوم علماء أفذاذ، حققوا مبدأ فرض العين والكفاية .

4- تنويع أساليب التدريس من خلال دروس مشتركة بين القطاعين الشعبي والرسمي .

5-صار إقبال العلماء وجمهور المثقفين والناس معياراً للحكم على قوة العلماء في الأداء .(فاضل،د. ت:71).

وهذا ما يدفع العلماء إلى تقويم أنفسهم والسعي دوماً للارتقاء الذاتي على المستوى الشخصي والاجتماعي .

لقد ساهم في تطور حركة الفكر التربوي في العصر العثماني ما يلي :-

أ- حركة الفتوح الإسلامية والإطلاع على ثقافة وخبرات الشعوب حيث ؛ أفاد المسلمون من نتاج العقول والخبرات والثقافات والتجارب والاحتكاك مع الغير .

ب- تشجيع السلاطين ومنهم السلطان سليمان القانوني؛ حيث مثل عصره عصر الازدهار فكان أشبه ما يكون بعصر الرشيد العصر الذهبي؛ حيث بناء المدارس، واستقطاب العلماء، والتشجيع على الترجمة ، وتنشيط الحركة العلمية والفكرية (زاده ، 1975 : 264 - 325) .

وفي هذه الفترة نشأ طاش كبري زاده،وهو من العلماء المستنيرين الموسوعيين وتميز بالآتي: -

1- التزم منهج الفقهاء في التربية ودعا إلى التوسع في المنهاج ليشمل العلوم العقلية والنقلية على السواء؛ لذلك جاء الفكر التربوي عنده متناثراً بين سطور كتاباته (زاده ، 1968 : مج ، 41) .

2- دعا إلى الانفتاح على ثقافة وفكر الآخرين وعدم الاقتصار على نتاج العقول الإسلامية (زاده ، 1968 : مج 1 ، 177).

3- دعا إلى التخصص في العلوم والارتقاء لتحقيق فرض الكفاية فيما يحتاجه المسلمون من أنواع العلوم (زاده ، 1968 : مج 1 ، 4) .

4- دعا إلى منهجية راقية من خلال تصنيفه لكتاب مفتاح السعادة ، وعرض محتواه بشكل يستوعب أنواع العلوم في عصره وفق تصنيف فلسفي دقيق ارتقى ليشتمل على خلاصة الفكر الإسلامي في مجال التصنيف (زاده ، 1968 : مج 1 ، 324)

5 -دعا كذلك إلى الإبداع والتفكير الحر ، ومحاربة التقليد وعدم الاقتصار على ما تناقلته الأجيال دون

تحقيق (زاده ، 1968 : مج 1 ، 25) .

6-امتاز المؤلف بإحساس واضح بأزمة الفكر التربوي في عصره (زاده ، 1968 : مج 1 ، 3) ؛ و كان صادقاً في تفاعله مع واقع الناس وطبيعتهم، ومدى انعكاس ذلك على نظرتهم للعلم والعلماء ، وبذلك يكون المؤلف قد استوفى شروط المفكر وأهمها.

أ- الإحساس بالمشكلة لأن الإحساس بالمشكلة طريق لحلها والخلاص منها .

ب- النزول إلى واقعة الاجتماعي والتفاعل مع مشكلات عصره .

7-دعا المؤلف إلى التحقيق والمنهج العلمي في البحث والمناظرة ؛حيث مهد لذلك بذكر أهم العلوم وأهم المصنفات فيها ، وأشهر المؤلفين ، وذلك لغرض تربوي ذكى وفق فيه المؤلف؛حيث أفسح المجال للباحث أن يطلع على هذا الكم الهائل من العلوم والعلماء ومؤلفاتهم (زاده ، 1968: مج1،73) . وذلك بهدف:

1- غرس حب واحترام المتعلمين لمعلميهم وتقدير مجهوداتهم .

2- تقديم ما حقه التقديم ، وآلية اتخاذ موقف معين بناءاً على بينةٍ؛ وذلك حسب شهرة العالم ، وذيوع صيته وتقديمه على غيره (زاده ، 1968 : مج 1، 73،74) .

- التربية المسيحية في العصر الوسيط

مفهوم القرون الوسطى : هي الفترة مابين 476 م أي العام الذي سقطت فيه الإمبراطورية الرومانية الغربية على يد الجرمان إلى العام 1453 م عام سقوط القسطنطينية على يد العثمانيين وانتهاء حرب المائة عام بين فرنسا وإنكلترا.

أثر الديانة المسيحية على التربية:

ظهرت المسيحية كرد فعل على الفساد الذي ساد الإمبراطورية الرومانية , وقد قاومه الحكام حتى القرن الرابع الميلادي في عهد الإمبراطور قسطنطين حين اعترف بالدين المسيحي ديناً رسمياً مع الديانات الوثنية الأخرى التي بدأت بالاضمحلال.

وسادت الثقافة المسيحية قروناً طويلة تدير شؤون المجتمع وتروض النفس استعداداً للحياة الأخرى كإحلال مكان الفلسفة الرومانية الأخلاقية التي اهتمت بالفعل , فحل محلها الاهتمام بالسلوك وصارت التربية نمطاً سلوكياً ترويضياً مستقبلياً . وقد ساد بداية هذه الفترة الجهل لأن الكنيسة لم تقدم نظاماً تربوياً بديلاً لكثرة الحروب ولطبيعة الديانة الجديدة الصوفية في بدايتها فساد الظلام العصور الوسطى حتى مهدت الحروب الصليبية ونظام الفرسان والرهبنة والجامعات إلى ظهور النهضة الأوروبية وما لحقها من نهضة تربوية.

بعد القرارات المتتالية (312، 313، 321 ...) التي أصدرها الإمبراطور قسطنطين عدت المسيحية دين الإمبراطورية الرسمي، فغدت أهداف الشعب العملية، ورعاية حياته الاجتماعية في يد الكنيسة على أن هذا لا يعني أن جماهير الشعب قد اعتنقت المسيحية روحا وسلوكا، ومع ذلك فقد خلق هذا الانقلاب حاجة إلى تنظيم السلوك تنظيما جديدا وإحلال مثل عليا في الحياة ، وما كان في وسع التربية أو الديانة اليونانية والرومانية أن تلبي هذه الحاجة.

- روح المسيحية الجديدة:

ركزت المسيحية على الإيمان بالجوانب الروحية في الإنسان كما قدمت مفهوما كريما لهذا الإنسان ، وبذلك فهي تختلف عن الديمقراطية اليونانية التي قصرت حقوق المواطنة على الأحرار من اليونان، كما تختلف عن مفهوم الفرد في القانون، الروماني الذي فرق من السادة والعبيد، كما أنها تختلف عن مفهوم الفرد عند اليهود الذين خصوا اليهود فقط بكل ما يعنونه من حقوق وواجبات ،وبإتباع الناس الدين المسيحي ساد ما يسمى في تاريخ البشرية (بالحياة النظيفة. (قامت المسيحية في بدئها على سواعد عدد من المشايخ الذين نشروا تعاليمها بما وهبوا من علم وفصاحة، وقد كانوا فريقين، فريق اغرق في التصوف وغالى في التشيع ،ونظر إلى كل فضول فلسفي بالتالي نظرته إلى شيء محرم وعد الشغف بالأدب زندقة وكفرا وفريق آخر كان أكثر اعتدالا عندما حاول أن يوفق جهد المستطاع بين العقيدة الدينية والعناية بالأدب.

يعتبر بعض المؤرخين أن سقوط الإمبراطورية الرومانية على يد العثمانيين والذي يوافق سقوط القسطنطينية عام 1403نقطة تحول تاريخي للعالم الأوربي.

فقد عاش الغرب من القرن الخامس الميلادي إلى القرن الرابع عشر في ظلام دامس وغاب العقل عن واقع الحياة، إلا في أحوال نادرة ومحاولات متفرقة، سيطر فيها رجال الدين النصارى على حياة الناس فصادروا حرية التفكير، والتعبير وأثقلوا المجتمع بدفع المبالغ الباهظة للكنيسة حتى يشتروا الجنة، وأعطوا العامة صكوك الغفران.

إن هذه البذور التي كانت تحملها الديانة الجديدة لم تثمر مباشرة (...) فالتعاليم المسيحية قد حلت أولا بين شعوب همجية لم يكونوا قادرين منذ الوهلة الأولى على الارتفاع إلى ثقافة فكرية وخلقية سامية، فقد كان غزو البرابرة للمجتمع القديم على حد تشبيه(جوفروا ،jouffray) أشبه بحطب أخضر تلقيه على لهيب مشتعل فلا يتصاعد منه في البدء إلا كثير من الدخان، ثم أن المسحيين الأوائل كان عليهم لتوطيد عقيدتهم أن يحاربوا صعوبات متجددة بلا انقطاع (...) وفي هذا النضال الذي قام به أوائل المسيحيين للتغلب على العالم القديم خلطوا بين النضال ضد الديانة الوثنية وبين نضالهم ضد الآداب الوثنية.(عبد الله عبدالدايم، 1967: ص105)

لقد أعطت المسيحية مفاهيم جديدة للعدالة الاجتماعية كنبذ الطبقية، وحاولت إصلاح المجتمع الوثني وتغيير الكثير مما كان عليه، كمنع احتفالات المصارعة الرومانية الدموية وكذا واد الأطفال، وأشاعت روح التسامح والفضيلة بين أفراد المجتمع.

ملامح بارزة ميزت العصور الوسطى وعكست نفسها على التربية في هذا العصر:

1 -النظام الإقطاعي :- ظهر هذا النظام في أوروبا بعد وفاة جس تنيان بعدة قرون عندما أجر ملوك الفرنجة أراضي الدولة للقادة وكبار الموظفين , وعندما ضعف الملوك أصبحت هذه الأراضي تتوارث لأبناء من كان قد استأجرها . كما وترافق ذلك مع عبودية من يفلح الأرض لمن يملكها , ووصل الأمر إلى بيع الأرض لمن يفلحها.

2 -البابوية :- إذا كان الأباطرة الشرقيين بعد انقسام الإمبراطورية الرومانية قد تملكوا السلطتين الدينية والدنيوية فقد لعبت الكنيسة دوراً كبيراً في الإمبراطورية الرومانية الغربية وفرضت سلطتها على كل العالم المسيحي ووجهته . ومن أهم الباباوات ذوي النفوذ والسلطة كان داما سوس (366 م -384م) , وسركيوس (384 م – 399م) الذي تنسب إليه أولى المراسيم البابوية . وفي الفترة التي تسلم فيها البابا ليو العظيم ما بين (440 م – 461 م)الكنيسة تم الاعتراف بسيطرة البابوية على جميع كنائس

الغرب . أما في عهد البابا جري جوري الأول (590 م- 604 م) فقد دانت كل الكنيسة الغربية لنفوذه.

3 -الرهبة والأديرة :- الراهب هو من قطع وعداً بالناسك طوال حياته، وكانت الرهبنة التي تتم في الأديرة ذات تعاليم تربوية، وأداة لتهذيب الأفراد في الغرب المسيحي ، وكانت ذات اتصال وثيق بالنهضة الأوروبية بما شملته أبحاثها من علوم الدين والفنون وعلوم نظرية وعملية ، ويعتبر بطرس وأنطونيوس مثالين للرهبنة ، كما اعتبر القديس بنديكت المنظم الحقيقي وواضع قوانينها عام 529م.

4- الفروسية :- ظهرت مع النظام الإقطاعي وتحول نظام الفروسية إلى نظام تربوي بما قدمه إلى الطبقات الراقية من مبادئ وتعاليم انقسم إلى مرحلتين-:

أ -المرحلة الأولى (من سن 7 – 14) يخدم فيها الغلام في بيوت العظماء.

ب- المرحلة الثانية (14 -21) يتعلم الغلام مبادئ الحب والحرب والدين ومرافقة الفرسان وفي نهايتها يقسم الغلام في احتفال ديني على الدفاع عن الكنيسة ، وحماية الفقراء والنساء والدفاع عن أمن البلاد.

5 -الحروب الصليبية :- هي أهم الحركات التي أثرت على الأحداث في العصور الوسطى ما بين العام (1096 م – 1291 م) وأهدافها متنوعة ما بين التوسع الاستعماري والاقتصادي وهي 8 حملات , 4 ضد المشرق العربي (القدس وفلسطين) , وواحدة ضد مصر وأخرى ضد القسطنطينية والأخيرة ضد شمال إفريقيا وأدت إلى احتكاك الغرب بالمسلمين والاستفادة من النهضة العلمية والأدبية عند المسلمين مما شكل رافعة للنهضة الأوروبية.

6 -ظهور الجامعات :- ظهرت أواخر القرن الحادي عشر في إيطاليا (سالرنو قرب نابولي عام 1050 م) ثم نابولي شمال إيطاليا وباريس عام 1180 م ولغة التدريس اللاتينية ، وظهور الجامعات مهد للنهضة الأوروبية الكبرى ، وسبب ظهورها انتشار الثقافة العربية ومرورها عبر الأندلس وعبر الاحتكاك في الحروب الصليبية بين العرب وأوروبا.

أن التربية المسيحية في العصور الوسطى هيمن فيها رجال الكنيسة على حرية الشعوب وكانت نقلة تاريخه نوعية حدت من عجرفة الرومان، وبطشهم وخطوة متكاملة نحو استفاقة العقل البشري، والسير به نحو التحرر النهائي الذي سيحققه في عصر النهضة أين تتشعب الرؤى وتتلاقح الأفكار.

حركة إحياء العلوم الأولى :- نهضة شارلمان (771 م -814 م(

حيث كان شارلمان أول من أنشأ المدارس وأعاد إحياء الوضع الفكري والخلقي عبر الكوين الذي اعتبر أول وزير للمعارف عرفته فرنسا , وأسس مدرسة القصر التي تعلم فيها شارلمان وأبناؤه وبناته , وكانت طريقة التدريس الطريقة الحوارية واستخدم العقاب البدني من قبل المدرسون الذين كانوا قساة . ولكن هذه النهضة انتهت بوفاة شارلمان وأغلقت المدارس وحلت محلها القلاع والحصون ، وكان من ابرز أتباع شارلمان جير بير دورياك المعروف لاحقاً بالبابا سلفستر الثاني الذي درس العربية بالأندلس.

الحركة المدرسية-:

عرفت بالنهضة الثانية ، واتسمت بالحركة الفكرية التي سادت منذ القرن 11 إلى القرن 15 ودعيت بالفلسفة المدرسية ،

وأهدافها-:

1 -عامة :- للدفاع عن المسيحية عن طريق العقل والمنطق الصوري (محاكمات المنطق الكلامية.(

2 -تهذيبية:- لتنمية قوة المناقشة والجدل والبحث عن المعلومات والمعارف المنسقة.

وكان لهذه الحركة المدرسية دور في إنشاء الجامعات (والحركة المدرسية نوع من الفاعلية العقلية(

واهم مدارسها-:

-المدرسة التنصيرية التي علمت المسيحية في الغرب.

-المدرسة الاستجوابة التي علمت المسيحية في الشرق.

-مدارس الكهنة التي أعدت رجال الدين للمراسم الكهنوتية.

-مدارس الأديرة.

-مدارس الإخوة (مدارس الرهبان الشحادون الفرنسسكان والدومينيكان.(

-مدارس الأوقاف.

خصائص التربية المسيحية في القرون الوسطى

-التربية عليا لأبناء الكنيسة والطبقة العليا.

-سيطرة الثقافة اللفظية والتمحكات الكلامية.

-استبعاد العقل في القياس.

-سيطرة الكنيسة على الناس فكراً وعقيدة وعملاً .